قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الاسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الابتداءُ الصَّحيح وغيرُ الصَّحيح في قراءة القرآن الكريم

Correct and Incorrect Ibtida' in Quran Recitation

١ – أ.د. طه سبتي إبراهيم/ جامعة بغداد/ مركز إحياء التراث العلمي العربي*

٢ – أ.د. شاكر محمود حسين/ كلية الإمام الأعظم(رحمه الله) الجامعة*

Abstract

Hardly any book on Qur'anic readings and tajwid is free from a discussion of *waqf and ibtida'* (pausing and beginning). This topic has received great attention from scholars, researchers, and reciters alike. However, despite all these great efforts and meticulous care, we do not find a dedicated study that clearly defines specific regulations that could serve as a rule and methodology for the reciter, protecting them from mistakes and slips that may occur when beginning the recitation of the Noble Qur'an. Thus, we observe that some reciters—whether reciting in prayer, teaching, or public gatherings—do not take meaning or context into consideration when they begin. Some start with a verse from the middle of a story, others begin with a demonstrative pronoun, and some start with a pronoun that refers to something preceding it. Here lies the problem addressed in this study: it monitors this phenomenon, explains its causes, and proposes suitable and effective solutions to address and overcome it. In this research, we do not refer to beginning after a pause *during* recitation; rather, we mean the very commencement of the recitation itself. The study concludes that the Qur'an reciter must be aware of the context of the passage they intend to recite, must have insight into how the verses are connected, and must avoid beginning with a verse that is dependent on what precedes it. By doing so, the reciter protects their recitation from errors that may occur.

Keywords:
Beginning,
Connection,
Context.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:١٩/١/٢٠٢٦م

المراجعة:٢٣/١/٢٠٢٦م

القبول: ١/٢/٢٠٢٦م

الكلمات المفتاحية:

الابتداء، التَّعلق، السِّياق.

ملخص

لا يكاد يخلو كتاب من كتب القراءات القرآنية والتجويد من مبحث الوقف والابتداء، وقد حازت هذه المسألة عناية كبيرة من الدارسين والباحثين والقرَّاء، ومع كلِّ هذه الجهود الكبيرة والعناية الفائقة لا نجد مبحثًا خاصًّا يبيِّن الضوابط المحدَّدة التي تكون قانونًا ومنهجًا عامًّا للقارئ تحول بينه وبين الخطأ والزَّلل الذي قد يقع فيه عند شروعه بقراءة القرآن الكريم ، لذا نلحظ بعض مَن يقرؤون القرآن الكريم؛ سواءٌ أكانت القراءة في الصَّلاة أم في التَّعليم أم في المحافل..عندما يبدؤون تلاواتهم لا يراعون المعنى ولا السِّياق؛ فبعضهم يبدأ بآية من قصَّة، وبعضهم يبدأ باسم الإشارة، وبعضهم يشرع بضمير يعود على ما قبله..، وهنا تكمن إشكالية البحث الذي يرصد هذه الظَّاهرة، ويبيِّن أسبابها، ويضع الحلول المناسبة والطُّرق الناجعة لحلِّها وتجاوزها، ولا نقصد في هذا البحث الابتداء الذي يكون بعد الوقف(أثناء القراءة)، بل المراد شروع القارئ بالتِّلاوة وبداية قراءته. وقد خلص البحث إلى ضرورة أن يكون قارئ القرآن الكريم عارفًا بسياق المقطع الذي يريد قراءته، وأن يكون ذا بصيرة بكيفية ارتباط الآيات، وأن لا يبدأ قراءته بآية تتعلَّق بما قبلها، فبذلك يعصم قراءته من الزَّلل الذي قد يقع فيه. وقد قُسِّم البحث على النحو الآتي: المبحث الأول: الابتداء غير الصَّحيح وأنواعه. المبحث الثاني: أسباب الابتداء غير الصَّحيح. المبحث الثالث: الابتداء الصَّحيح وأنواعه. الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

* Corresponding author at **Prof. Dr. Taha Sabti Ibrahim .**

***Prof. Dr. Shakir Mahmoud Hussein**

١. **المقدمة**

شغلت قضية الوقف والابتداء في القرآن الكريم العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا، فهي من الرَّكائز التي يستند عليها القارئ والسَّامع في فهم مراد الله تعالى، لذا زخرت كتب التفسير والمعاني والتجويد بمسائلها، بل أفردت لها الكتب والرَّسائل، حتَّى صار علم الوقف والابتداء علمًا مستقلًّا، وقد تسابق العلماء في الكشف عن الوقف والابتداء في القرآن الكريم، من فاتحته إلى خاتمته.

ومع كلِّ هذه الجهود الكبيرة والدِّراسات الرَّصينة لا نجد مبحثًا مستقلًا أو كتابًا منهجيًّا يرسم لنا طريقًا واضحًا في كيفية الشروع بالقراءة، أو يحتوي على الضوابط والشروط التي يجب توافرها في الابتداء الصَّحيح.

١.٢. إشكالية البحث وأهدافه: تكمن اشكالية البحث في أنَّ بعض القرَّاء يبدؤون تلاواتهم بآية تتعلَّق بما قبلها تعلّقًا شديدًا؛ كأن يبدأ القراءة بآية فيها ضمير يعود إلى ما قبلها أو باسم إشارة لمُشار قبلها، أو بآية منتزعة من قصة وغيرها من الأماكن التي بينها البحث، من أجل هذا كلّه يعدُّ البحث اللبنة الأولى التي ستضع الأسس العلمية التي يجب أن يسير عليها القرَّاء عند بداية تلاواتهم لكتاب الله تعالى، ويحدِّد المعالم اللازمة لقارئ القرآن الكريم عند شروعه بالقراءة، وقد رأينا بعض من يتصدّرون لقراءة القرآن الكريم لا يراعون معنًى، ولا يبالون للسِّياقات والمقاطع، من جهة بداياتها ونهاياتها؛ فبعضهم يبدأ تلاوته بآية فيها ضمير يعود على ما قبله، وبعضهم يبدأ بآية فيها اسم إشارة لمُشار قبلها، وبعضهم يبدأ من وسط القصَّة...

٣.١. منهج البحث: المنهج الذي سار عليه الباحثان هو المنهج التحليلي والنقدي، إذ قمنا ببيان أبرز الأماكن التي يصح ابتدء القراءة بها، والأماكن التي لا يصح الابتداء بها، ونقد بعض القرَّاء الذين لم يتقيَّدوا بالمنهج الصحيح في التلاوة.

٤.١. نتائج البحث: إنَّ الفيصل الأساس في صحة الابتداء هو الشُّروع بمعنًى مستقلٍّ وسياق جديد، وموضوع منفصل عمَّا قبله، وهذا يتطلّب من القارئ المعرفة بسياقات الكلام، من جهة الابتداء والانتهاء، وعلى القارئ أن يتجنَّب الابتداء ببدايات الأجزاء والأحزاب والأرباع التي تتعلَّق بما قبلها تعلُّقًا شديدًا، وأن لا يتقيَّد بالعلامات الموجودة في المصاحف التي تدل على بدايات بعض الأجزاء والأحزاب والأرباع.

٥.١. الإطار النظري للبحث: اقتضت طبيعة البحث أن يكون وفق الآتي:

المبحث الأول: الابتداء غير الصَّحيح وأنواعه.

المبحث الثاني: أسباب الابتداء غير الصَّحيح

المبحث الثالث: الابتداء الصَّحيح وأنواعه.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

٢. **المبحث الأول: الابتداء غير الصَّحيح وأنواعه**

إنَّما بدأنا به كونه قد يخفى على كثير من القرَّاء، كما أنَّه المقدَّم بيانه في بحثنا هذا أكثر من الابتداء الصحيح الذي يُتوصَّل إليه بعد معرفة الابتداء غير الصَّحيح،؛ فبضدِّها تُعرف الأشياء.

١.٢. المطلب الأول: التعريف بالابتداء غير الصَّحيح

الابتداء هو:((الشُّروع في القراءة بعد قطعٍ أو وقفٍ))[١].

والذي نريده من هذا التعريف هو الشَّطر الأوَّل(الشُّروع في القراءة بعد قطعٍ) لا الثاني؛ لأنّ المراد بيانه هو المواطن الصَّحيحة التي يجب على القارئ أن يبدأ قراءته بها، وأن يتجنَّب الابتداء بالمواطن التي تخلُّ بالمعنى، أمَّا الابتداء الذي يكون بعد الوقف فليس مرادنا في هذا البحث؛ فهو مذكور في كتب القراءات القرآنية والوقف والابتداء وغيرها. ولمَّا كان هذا التعريف عامًّا؛ فهو لم يحدِّد نوع الشَّروع في القراءة، لذا يجب تعريف الابتداء الذي لا يصحُّ والذي يصحُّ. الابتداء غير الصَّحيح: هو أن يستهلَّ القارئ قراءته بآية تتعلَّق بما قبلها، تعلُّقًا لفظيًّا أو معنويًا . والمقصود بالتعلق اللفظي:((هو أن يكون ما بعد الكلام متَّصلًا بما قبله من جهة الإعراب، كأن يكون صفة أو معطوفًا..))[٢]. أو يقال: إنَّه تعلُّق معمول بعامله وتابع بمتبوعه[٣]، وذلك كتعلُّق الخبر بالمبتدأ والصِّفة بالموصوف والصِّلة بالموصول والبدل بالمبدل منه... والتَّعلُّق المعنوي: هو تعلُّق المتقدِّم بالمتأخِّر من جهة المعنى فقط دون شيء من متعلَّقات الإعراب[٤]، كالإخبار عن صفات المؤمنين في أول سورة البقرة، أو تمام قصَّة، أو نحو ذلك[٥].

٢.٢. المطلب الثاني: أنواع الابتداء غير الصحيح

الابتداء غير الصحيح أنواع كثيرة لا يسعها بحث كبحثنا هذا، لكنّنا سنذكر بعضها، ففي ذكرها وبسطها يستطيع القارئ الحذق أن يقيس عليها كي يكون ابتداؤه مشروعًا. ولمّا كان الابتداء غير المشروع يتعلَّق بما قبله من جهة اللفظ أو من جهة المعنى فإنَّا سنذكر أنواعًا وأمثلة لكلا التعلُّقين.

١ – الابتداء بآية فيها ضمير يعود إلى قبلها

فمن المعوم والمقرَّر أنَّ الضمير يعود على متقدِّم لفظًا ورتبة، فلو بدأ القارئ تلاوته بآية فيها ضمير يعود إلى ما قبله فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى تفكيك النظم القرآني المبارك وإرباك السَّامع بسبب الغموض والإبهام، ومن الأمثلة على ذلك:

– البدء بقوله تعالى مبيِّنًا أحوال المتَّقين في الجنَّة﴿ **وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ**﴾[٦]

فالضمير(هم) في(وعندهم) يرجع إلى المتَّقين المذكورين قبل هذه الآية في قوله تعالى﴿ **هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ**﴾[٧].ومن المؤسف أنّ الشيخ الحصري(رحمه الله تعالى) بدأ إحدى تلاواته بهذه الآية من سورة(ص)[٨]. والشَّيخ عبد الباسط عبد الصمد(رحمه الله تعالى) بدأ إحدى تلاواته[٩] بقوله تعالى واصفًا حال المتَّقين بعد دخولهم الجنَّة﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ**

(١) هداية القاري: ٣٩٢/١، وفنّ التَّرتيل وعلومه:٩٣٧/٢.

(٢) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة الجزرية لأحمد بن محمَّد بن الجزري: ١٠٥.

(٣) جهد المقل للمرعشي: ٢٥٥– ٢٥٦.

(٤) ينظر: شرح متن الجزرية لابن الجزري:٣١، وحقّ التلاوة:٤٥.

(٥) ينظر: الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم:١٤٥.

(٦) سورة ص: الآية:٥٢.

(٧) السورة نفسها: الآية:٤٩.

(٨) التلاوة مثبتة على الرابط الآتي في شبكة الإنترنت: https://youtu.be/YrQaAzOKFww?si=P4eF3BDEpx-BwZjv

(٩) التلاوة مثبتة على الرابط الآتي في شبكة الإنترنت: https://youtu.be/ZDOFRdj EhitmyNT٠FNUHm٩Ck?si=j٥٠

مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[١]، والآية التي قبل هذه الآية حدَّدت أصحاب هذه المقالة؛ وهم المتَّقون، قال تعالى﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾**[٢]، ولو أنَّ الشَّيخ بدأ بهذه الآية كان أجدر وأسلم.

- الشُّروع بقوله عزّ وجلَّ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾**[٣]، فالآية تذمُّ أولاد السّوء الذين يخلُفون المذكرين في الآية قبلها؛ وهي قوله تعالى ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾**[٤]، فالضمير(هم) في (بعدهم) عائد على﴿..**مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا..﴾.

- وكذلك الابتداء بقوله سبحانه وتعالى حكاية عن إبراهيم(عليه السَّلام) ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾**[٥]؛ فالهاء في(له) عائدة على نبيِّ الله إبراهيم(عليه السَّلام) المذكور في الآيات التي قبلها؛ قال تعالى﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾**[٦].

٢- الابتداء بآية تبيِّن حالًا لما قبلها

كالابتداء بقوله تعالى﴿ **مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[٧]، فإنَّ لكلمة(**مُنِيبِينَ**) إعرابات؛ أبرزها[٨]:

- حال من فاعل (الْزمُوا) المضمر في(فطرت) من قوله تعالى في التي قبلها﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** والمعنى:((الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله))[٩] .

- حال من فاعل (أَقِمْ) على المعنى، لأنه ليس يراد به واحد بعينه، وإنَّما المراد الجميع.

- وقيل: هو خبر لكان المحذوفة، أي: كُونُوا مُنِيبِينَ، لدلالة قَوْلِهِ تعالى في الآية نفسها ﴿.. **وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾، والمعنى: كونوا منيبين إلى الله تعالى ولا تكونوا من المشركين الَّذين فرَّقوا دينهم وكانوا أحزابًا وفرقًا. فعلى كلِّ هذه الوجوه الإعرابية لا يصح الشُّروع بالآية كونها تتعلَّق بما قبلها تعلُّقًا شديدًا.

---

(١) سورة الزمر: الآية:٧٤.
(٢) السورة نفسها: الآية:٧٣.
(٣) سورة مريم: الآية:٥٩.
(٤) السورة نفسها: الآية:٥٨.
(٥) سورة العنكبوت: الآية:٢٦.
(٦) السورة نفسها: الآيتان:٢٤-٢٥.
(٧) سورة الروم: الآية:٣١.
(٨) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري:١٠٤٠/٢ ،واللباب في علوم الكتاب:٤٠٩/١٥-٤١٠ ، والجدول في إعراب القرآن:٤٢/١١.
(٩) الكشّاف: ٤٧٩/٣.

– الابتداء بقوله تعالى﴿ **مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا** ﴾[١]، فالشروع بهذه الآية غير صحيح؛ لأنَّ كلمة(**مُتَّكِئِين**) حال[٢] من ضمير المفعول(هم) في (جزاهم) من قوله تعالى في الآية التي قبلها﴿ **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾[٣]، والمعنى:((وَجَزَاهُمْ جَنَّةً فِي حَالِ اتِّكَائِهِمْ كَمَا تَقُولُ: جَزَاهُمْ ذَلِكَ قِيَامًا)) [٤] ،أو على المدح[٥]، أو صفة للجنَّة[٦]؛ قال الفرَّاء(ت ٢٠٧هـ):((كأنَّك قلت: جزاؤهم جنَّة متَّكئين فيها))[٧].

٣– الابتداء بآية تبدأ باسم الإشارة:

كالابتداء بقوله تعالى حكاية عن نبيِّ الله زكريَّا(عليه السَّلام) ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[٨] ، فاسم الإشارة(هنالك) يشير إلى المكان الذي كان فيه زكريَّا(عليه السَّلام) عند مريم(عليها السَّلام)، أو إلى الزَّمان الذي دعا فيه الله تعالى[٩]، وعلى كلا التَّقديرين لا يمكن فهم الآية دون الرجوع إلى الآية التي قبلها التي بيَّنت المشار إليه ووضَّحته؛ قال تعالى﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[١٠] ؛ فالمكان هو المحراب، والزَّمان هو الوقت الذي تكلَّم زكريَّا(عليه السَّلام) مع مريم (عليها السَّلام) [١١].

٤– الابتداء بآية تقع في سياق واحد

ولهذا النوع من الابتداء أقسام كثيرة؛ منها:

– الابتداء بآية تتحدَّث عن وصف من أوصاف متعدِّدة.

في القرآن الكريم آيات كثيرة تذكر نوعًا معينًا لأشخاص، ثمَّ تذكر له أوصافًا أخرى كي تكتمل الصورة لدى المتلَّقي، لذا لا يصحّ الابتداء ببعض هذه الآيات كي لا تحصل عند السَّامع صورة غير كاملة. من ذلك البدء بقوله عزَّ وجلَّ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾[١٢] ، فهذه الآية سيقت ضمن الآيات التي مدحت المؤمنين بأوصاف كثيرة ، وهي في سياق واحد؛ يبدأ بقوله تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ**﴾[١٣]، ثمَّ يأتي قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**﴾[١٤] ،ثمَّ ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ**﴾[١٥] ،ثمَّ ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ ، وينتهي بقوله تعالى﴿ **أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾[١٦] ، وعندما حصل لأمِّ المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) لبس في فهم قوله تعالى:

---

(١) سورة الإنسان: الآية:١٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج:٥/٢٥٩، وأنوار التنزيل للبيضاوي:٥/٢٧١.

(٣) سورة الإنسان: الآية:١٢.

(٤) التفسير الكبير:٣٠/٧٥٠.

(٥) معاني القرآن للأخفش:٢/٥٦٠،

(٦) ينظر: أنوار التنزيل:٥/٢٧١.

(٧) معاني القرآن:٣/٢.

(٨) سورة آل عمران: الآية:٣٨.

(٩) ينظر: التفسير الكبير:٨/٢٠٩، والبحر المحيط : ٣/١٠٧.

(١٠) سورة آل عمران: الآية:٣٧.

(١١) ينظر: الكشَّاف:١/٣٠٩.

(١٢) سورة المؤمنون: الآية:٦٠.

(١٣) السورة نفسها: الآية:٥٧.

(١٤) سورة المؤمنون: الآية:٥٨.

(١٥) السورة نفسها: الآية:٥٩

(١٦) السورة نفسها: الآية:٦١.

﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾، إذ ظنَّت أنَّهم الذين يرتكبون المعاصي والسيِّئات أرشدها النبيُّ(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وبيَّن لها أنَّهم الذين يصلُّون ويصومون ويتصدّقون ويخافون أن لا يُتقبَّل منهم، وتلا الآية التي بعدها؛ جاء في سنن الترمذي:((أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ:لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿**أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾))[1] .

– الابتداء بآية مجتزأة من قصَّة:

تشكِّل القصَّة القرآنية وحدة متكاملة، وتؤلِّف سياقًا واحدًا لا تنفصل أجزاؤه ولا تُبتر أوصاله، فإن بدأ القارئ من أول القصّة كان ابتداؤه صحيحًا، وإن بدأ من أوسطها؛ سواءٌ بدأ بعد أولها أم قبل آخرها كان ابتداؤه غير صحيح؛ كونه بتر القصَّة فلم يصل إلى ذهن السامع إلا صورة ناقصة عن القصَّة.

من ذلك الابتداء بقوله عزَّ وجلَّ في قصَّة يوسف(عليه السَّلام) ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2]، فهذه الآية تقع ضمن سياق واحد، وهو قصَّة براءة يوسف(عليه السَّلام) وشهادة النِّسوة وامرأة العزيز على عفَّة يوسف(عليه السَّلام)، قال تعالى في الآيات التي قبلها﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ. قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴾[3]، وسواءٌ كان قائل هذا القول[4]﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ..**﴾ هو قول امرأة العزيز، أم يوسف(عليه السَّلام) أم العزيز، فإنَّه لا يصحُّ الابتداء بهذه المقولة، لأنَّها من كلام واحد لا يمكن فصله عمَّا قبله. ومع هذا كلِّه فإنَّ مسألة الابتداء بآية من قصة قرآنية محل نظر وتفصيل؛ إذ قد تكون الآية المبتدأ بها تأذن بحدث جديد له تعلُّق بالقصَّة من وجه آخر،عندئذٍ يتحتمُّ على القارئ معرفة أجزاء القصَّة ومقاطعها. وقد ذكر الإمام المرعشي(ت١١٥٠هـ) كلام الإمام الدَّاني(ت٤٤٤هـ) الذي يفيد أنَّ الوقف التَّامَّ يكون عند تمام القصَّة وانقضائها[5]، فيلزم عدم جواز الوقف من وسط القصص الطَّويلة كقصَّة يوسف(عليه السَّلام)، والإمام الدَّاني نفسه قد ذكر بعض الوقوفات التَّامّة في سورة يوسف(عليه السَّلام)، فقال المرعشي:((في سورة يوسف(عليه السَّلام) قصص متعدِّدة متعلّقة بيوسف(عليه السَّلام)، فقصَّة رؤياه تتمُّ

(١) سنن الترمذي: باب: ومن سورة المؤمنون،٥ /٣٢٧، رقم:٣١٧٥، وقال الألباني:صحيح.

(٢) سورة يوسف: الآية:٥٣.

(٣) سورة يوسف: الآيات: ٥٠-٥٢.

(٤) ينظر: النكت والعيون :٣/٤٨.

(٥) ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء:٨

عند﴿.. **عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[١]، وقصة تدبير إخوته تبعيده عن أبيه تتمُّ عند﴿ **إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ** ﴾، وقصَّة ما فعلوه به تتمَّ عند﴿ .. **لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[٢]، وهكذا إلى آخر ما يتعلَق به، وتعدُّ جميع القصص المتعلّقة بيوسف(عليه السَّلام) في تلك السُّورة قصَّة واحدة، وحدة اعتبارية لا حقيقيَّة، ولا يفهم مقاطع القصص في القرآن إلَّا الأفراد من العلماء))[٣] .

٣. المبحث الثاني: أسباب الابتداء غير الصَّحيح

الابتداء غير الصَّحيح له أسباب كثيرة؛ لعلَّ من أبرزها:

أولًا: عدم المعرفة أنَّ ذلك غير جائز:

إنَّ جهل القارئ بمواطن الابتداء الصَّحيحة وغير الصَّحيحة يجعله يقع في المحظور؛ فنراه يشرع بالقراءة دون مراعاة السِّياق والمعنى، وقد يكون سبب جهل القارئ اعتماده على الإشارة في المصاحف التي تدلُّ على انتهاء الأجزاء والأحزاب والأرباع وبداية أجزء وأحزاب وأرباع آخرى.

ومعلوم أنَّ التقيّد بهذه العلامات لا يصحّ في الوقف والابتداء؛ إذا كانت تؤثِّر على المعنى وتخلّ بالنظم القرآني، كأن تكون مقتضبة من قصَّة أو حكاية ، أو مستلَّة من سياق متَّصل لا يصح تفكيكه وتجزأته..

ولعلَّ مقالة المرصفي(ت: ١٤٠٩هـ) (رحمه الله) في هذا الموضوع هي الأكثر وضوحًا والأقوى حجَّةً؛ إذ يقول:((..بخصوص الابتداء من أوَّل بعض الأجزاء والأرباع والأحزاب؛ درج كثير من القرَّاء على التَّسامح في البدء من أول الأجزاء أو الأحزاب أو الأرباع التي في أثناء السُّور مهما كان تعلُّقها بما قبلها من حيث المعنى؛ فأمَّا الأجزاء المتعلِّقة بما قبلها في المعنى فنحو قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ..**﴾[الأنعام: من الآية: ١١١]، وقوله سبحانه﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا..**﴾[الأعراف: من الآية: ٨٨] ، وقوله عزَّ شأنه﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾[الكهف: ٧٥] ونظائره. وأمَّا الأحزاب فكقوله تعالى﴿ **وَإِذ نَتَقْنَا الجبل فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وظنوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ..**﴾[الأعراف:من الآية: ١٧١] ، وقوله سبحانه﴿ **قالوا أَنُؤْمِنُ لَكَ واتبعك الأرذلون**﴾ [الشُّعراء: ١١١] ، وقوله عزَّ من قائل﴿**فَنَبَذْنَاهُ بالعرآء وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾ [الصَّافات: ١٤٥] ، وأمَّا الأرباع فكثيرة؛ منها قوله تعالى﴿ **لَيْسُواْ سَوَآءً..**﴾[آل عمران:من الآية: ١١٣]، وقوله تعالى﴿ **وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إله مِّن دُونِهِ فذلك نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظالمين**﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وقوله تعالى﴿**وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطرف أَتْرَابٌ**﴾[ص: ٥٢] ، **ولم أر لهم دليلًا يحسن التعلُّق به أو يصلح للتَّعويل عليه** بخلاف ما تمسَّكوا به من أنَّ هذه الآيات الكريمة وقعت في مستهلِّ هذه الأجزاء أو الأحزاب أو الأرباع التي وردت فيها، وهذا غير كافٍ وغير شافٍ **ومثله لا ينهض لتبرير الابتداء بهذه المواضع ونحوها ولا قطع القراءة دونها**؛ لأنَّ هذا الابتداء يقصر عن إبلاغ المستمع معنى بيِّنًا تامًّا لتعلُّق معنى الآيات بما تقدَّمها

(١) سورة يوسف: من الآية:٦.
(٢) السورة نفسها: من الآية:١٥.
(٣) جهد المقل:٢٥٩.

من سياقها الذي فصلت عنه أو بدىء به دونه، ولأنَّ هذا القطع إنقاص لحدِّ البلاغ الذي يشتمل عليه نصُّ التنزيل ذو الموضوع الواحد وكلاهما تَحَكُّمٌ في نصوص التنزيل بغير مسوِّغ وبغير دليل، مع أنَّ هذه الأجزاء والأحزاب والأرباع المعنية اجتهادية لا توقيفية وليس فيها خبر صحيح من حديث نبوي ولا أثر صريح عن صحابي أو تابعي، وإنَّما هي من قبيل الاجتهاد الذي يقال فيه إنَّ عدم المراد لا يمنع الإيراد..))[١]. وذكر الشيخ حسني الشيخ عثمان كلامًا نفيسًا في اغترار بعضهم والاعتماد على بدايات بعض الأجزاء أو الأحزاب أو الأرباع:((ينبغي للقارئ إذا قطع أو ابتدأ بعد قطع في أثناء السورة أن يقطع على معنى صحيح غير منقوص، أو يبتدأ بكلام مترابط المعنى، وليس على القارئ ولا له أن يتقيَّد بنهايات الأعشار والأحزاب والأجزاء إذا أراد القطع أو ببداياتها إذا أراد الابتداء بعد القطع ؛ لأنَّ النهايات والبدايات كثيرًا ما تأتي في وسط الكلام المترابط، مثال ذلك نهاية الجزء الرابع وبداية الجزء الخامس، فلقد جاءت نهاية الجزء الرابع ولم ينتهِ استعراض المحرَّمات من النساء عند قوله تعالى﴿.. **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [سورة النساء: من الآية:٢٣] ، امَّا بداية الجزء الخامس فهي تتمَّة لاستعراض المحرَّمات؛ حيث يقول الله عزَّ وجلَّ﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..**﴾ [سورة النساء: من الآية:٢٤] فإنَّ الوقف على نهاية الآية (٢٣) إن كان حسنًا فالقطع عليها غير حسن، ومن أراد القطع الحسن فليقطع على نهاية الآية(٢٤)، يضيفها إلى قراءته من الجزء الرابع، فإنِ اتَّبع القارئ خلاف الأولى وقطع على نهاية الآية(٢٣) فالأولى ألَّا يبدأ من بداية الآية(٢٤)، بل يحسن به أن يبدأ من بداية الآية(٢٣) التي ذكرت المحرَّمات من النِّساء، فيستهلَّ قراءته بعد القطع بـ ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**﴾

ولا يغترنَّ امرؤ بكثرة من يفعل هذا من العوامِّ وأشباههم الذين لا يراعون هذه الآداب ولا يفكِّرون في معاني القرآن في أثناء التلاوة، ومن أجل مثل هذا قال العلماء:(قراءة سورة قصيرة بكمالها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر الصغيرة، فإنَّه قد يخفى الارتباط على بعض النَّاس في كثير من الأحوال))[٢] . ومن جهل القارئ عدم معرفته بوجه ارتباط الآيات ببعضها، فيتعذَّر عليه معرفة بداية السِّياق ونهايته، كما أشار الشيخ حسني الشيخ عثمان في الكلام المتقدِّم.

ثانيًا: خشية قراءة آية فيها سجدة:

- وقد يكون سبب الابتداء بمثل هذه المواضع تجنُّب آيات السَّجدة(كما في آيتي مريم والسَّجدة مثلًا)، كما يفعل ذلك بعض أئمة المساجد في صلاة الجماعة، ظنًّا منهم أنَّ ذلك جائز صحيح، فيبدأ بـ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾[٣]؛ فالآية تذمُّ أولاد السُّوء الذين يخلُفون المذكرين في الآية قبلها؛ وهي قوله تعالى﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ**

(١) هداية القاري:١/٣٩٥-٣٩٦.

(٢) حقّ التلاوة: ٦٣.

(٣) سورة مريم: الآية:٥٩.

حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[١]، ومثله البدأ بقوله تعالى ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[٢]؛ فالآية مرتبطة بما قبلها ارتباطًا وثيقًا،إذ هي من صفات المؤمنين الذين إذا ذُكِّروا بآيات الله تعالى خرُّوا سجدًا وسبَّحوا بحمد ربِّهم وهم لا يستكبرون، قال عزَّ وجلَّ﴿ **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[٣].

ثالثًا: الغفلة وعدم الانتباه[٤]**:**

قد يكون القارئ على علم ودراية بكيفية الابتداء، لكنَّه يغفل أحيانًا؛ فيترك العمل بذلك سهوًا منه أو عمدًا، إذ الغفلة:((ترك الشيء سهوًا، وربَّما كان عن عمدٍ))[٥].

وعلى القارئ أن يكون نَبِهًا في قراءته متدَبِّرًا تلاوته، يقظًا غير لاهٍ ولا ساهٍ، فالقارئ أحيانًا قد يحصل عنده شرود ذهني فلا يكن همّه الفهم والتدبُّر، بل القراءة فقط، حينئذ لا يراعي أماكن الوقف والابتداء، وقد يتركهما عمدًا، لأسباب كثيرة؛ كالتَّعب والاستعجال...

وللغفلة أسباب وعلل؛ لعلَّ أبرزها: انشغال القلب بغير قراءة القرآن الكريم، وشرود الذهن، والتعب والإعياء، فكلُّ ذلك يجعل القارئ لا يركز على قراءته، ولا يعيش مع كلام الله تعالى. ولكي يتخلَّص القارئ من كلِّ ما يشغله عن التَّدبُّر ويحول بينه وبين الفهم السَّديد لدلالات الآيات يجب عليه إفراغ البال من كلِّ ما يشغله عن المعاني القرآنية، عن طريق الاستعداد النَّفسي للقراءة، قبل القراءة وعندها، وأن يتهيَّأ للتلاوة تهيئًا فكريًا، ويعدَّ نفسه روحيًا، وأن يستشعر عظمة القرآن الكريم، فلو أنزله تعالى على جبل لخشع وتصدَّع؛ قال تعالى﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٦] .

٤. المبحث الثالث: الابتداء الصَّحيح وأنواعه

١.٤. المطلب الأول: التعريف بالابتداء الصَّحيح

الابتداء الصَّحيح: هو أن يستهلَّ القارئ قراءته بآية لا تتعلَّق بما قبلها لفظًا ولا معنًى.

وقد يُفهم من هذا التعريف نفي المناسبة بين الآيات القرآنية، وهي وجه ارتباط الآيات والسُّور بعضها ببعض، أو علاقة الآيات والسُّور فيما بينها ومعرفة علل ترتيبها[٧]

فإن نفينا التعلُّق المعنوي بين الآيات نفينا المناسبة بينها..، فكيف يكون هذا؟

والجواب أن يقال: إنَّ التعلُّق المعنوي ليس على درجة واحدة، بل هو درجات؛ فمنه التعلُّق الشَّديد الواضح الذي يُعرف بأدنى تأمُّل، ومنه التعلُّق الذي يحتاج إلى زيادة نظر وطول تفكُّر، ومنه ما هو بين هذا وذاك، والمقصود من التعلُّق المعنوي المنفي في تعريف الابتداء الصحيح هو التعلُّق الثاني (التعلُّق الذي يحتاج إلى زيادة نظر وطول تفكُّر)، إذ المناسبة فيه خفيَّة لا

(١) السورة نفسها: الآية:٥٨.

(٢) سورة السجدة: الآية:١٦.

(٣) السورة نفسها:الآية:١٥.

(٤) أفادنا بهذا السبب فضيلة شيخنا: جمال محمود الكبيسي.

(٥) مقاييس اللغة: ٣٨٦/٤.

(٦) سورة الحشر: الآية:٢١.

(٧) ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور:١٨(عادل بن محمد أبو العلاء)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد١٢٩ – السنة ٣٧ – ١٤٢٥هـ.

تُلتقط إلا بالنَّظر والتأمُّل الطَّويلين، وكلَّما قوي التعلُّق المعنوي صارت المناسبة ظاهرة جليَّة. ويقع التعلُّق الشديد في السِّياق الواحد، وذلك واضح في القصص القرآني، وقد ذكرنا بعض الأمثلة الدالة على ذلك في المبحث الأول؛ منها قوله تعالى في قصة يوسف(عليه السَّلام) ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[١]، وكقوله تعالى حكاية عن نبيِّه إبراهيم(عليه السَّلام)﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٢]؛ فهاتان الآيتان وأمثالهما تعقلُّهما بما قبلهما شديد، فالمناسبة فيهما ظاهرة جليَّة. أمَّا التعلُّق الآخر، وهو التعلُّق غير الشديد والمناسبة فيه خفية فهو ما سيظهر لنا في المطلب الثاني من هذا المبحث.

٢.٤. المطلب الثاني: أنواع الابتداء الصَّحيح

للابتداء الصَّحيح أشكال كثيرة وأنواع متعدِّدة، أبرزها:

أولًا: الابتداء ببداية السُّورة:

وهو أفضل أنواع الابتداء الصَّحيح وأكملها، ولا خلاف فيه؛ فلكلِّ سورة في القرآن الكريم سياق خاص بها، فشروع القارئ ببدايتها هو شروع بسياق جديد.

ثانيًا: الابتداء بأوَّل القصَّة:

وقد تقدَّم أنَّ القصَّة في القرآن الكريم تعدُّ سياقًا واحدًا مستقلًا، فالابتداء بها مشروع وصحيح، وذلك كالابتداء بقوله تعالى حكاية عن قوم موسى(عليه السَّلام) ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[٣]، وكالابتداء بقوله عزَّ وجلَّ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[٤].

ثالثًا: الابتداء بالنِّداء:

الابتداء بالنِّداء أمر مشهور، وله أمثلة كثيرة؛ منها الابتداء بـ:

- ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٥].
- ﴿ **يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[٦]
- ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٧].
- ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[٨].
- ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**

(١) سورة يوسف: الآية:٥٣.

(٢) سورة العنكبوت: الآية:٢٦.

(٣) السورة البقرة: الآية:٦٧.

(٤) سورة المائدة: الآية:٢٧.

(٥) سورة البقرة: الآية:٢١.

(٦) السورة نفسها: الآية:٤٠.

(٧) سورة آل عمران: الآية:١١٨.

(٨) سورة النساء: الآية:١٩.

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١] .

وغيرها من النداءات التي تُؤذن بسياق جديد؛ فهذه النِّداءات وما شابهها منقطعة عمَّا قبلها، فلا حرج في الابتداء بها والشروع منها. وهناك نداءات متَّصلة بما قبلها، ملتصقة بسياقها لا تنفكُّ عنه، والابتداء بها غير صحيح، كونها لبنة من لبنات النَّظم، وجزء لا ينفصل عن السِّياق، من أجل هذا عدَّ الإمام الأشموني(ت١١٠٠هـ) أنَّ من مقتضيات الوقف التَّامّ الابتداء بالنداء لكنَّه قيَّده، فقال:((ومن مقتضيات الوقف التَّام الابتداء بالاستفهام ملفوظًا به، أو مقدَّرًا، ومنها أن يكون آخر قصَّة وابتداء أخرى، وآخر كلِّ سورة، والابتداء بياء النِّداء **غالبًا**..))[٢]، فكلمة(غالبًا) تُخرج النداءات المتَّصلة بما قبلها، وذلك نحو:

- ﴿ **يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾**[٣].
- ﴿ **يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾**[٤].

﴿ **يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾**[٥].

- ﴿ **يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٦] .

فكلُّ هذه الآيات لا يُعَدُّ الابتداء بها صحيحًا؛ لأنَّ النِّداء فيها متَّصل بما قبله، كونها ضمن قصَّة واحدة.

رابعًا: الابتداء بموضوع بعد انتهاء موضوع قبله[٧].

تتألَّف سور القرآن الكريم(إلا بعض السُّور القصيرة) من موضوعات متنوِّعة؛ كلُّ موضوع يعالج مشكلة، وكلُّ موضوع من هذه الموضوعات له بداية ونهاية، فالواجب على القارئ أن يتحرَّى بداية الموضوع كي يبدأ قراءته بها، وذلك نحو:

- الابتداء بقوله تعالى﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾**[٨]، بعد أن ذكر قوامة الرِّجال على النِّساء والتدرج في إصلاح العلاقة بين الزَّوجين؛ قال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا. وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾**[٩].

- الابتداء بقوله عزَّ وجلَّ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾**[١٠]، بعد ذكر طلب الكافرين من الله تعالى وهم في النَّار أن

(١) سورة المائدة: الآية:٨.
(٢) منارالهدى في الوقف والابتدا:١/٢٥.
(٣) سورة آل عمران: الآية:٤٣.
(٤) سورة مريم: الآية:٧.
(٥) السورة نفسها: الآية:٢٨.
(٦) سورة النمل: الآية:٩.
(٧) ينظر: العميد في علم التجويد:١٥٤.
(٨) سورة النّساء: الآية:٣٦.
(٩) السورة نفسها: الآيتان:٣٤-٣٥.
(١٠) سورة فصّلت: الآية:٣٠.

يُريهم الَّذين أضلُّوهما من الجَنِّ والأنس ليجعلوهما تحت أقدامهم فيكونا من الأسفلين﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**﴾[1].

٥. الخاتمة

في نهاية البحث نسجِّل النتائج الآتية:

١- يجب على القارئ أن يشرع بآية لا تتعلَّق بما قبلها تعلُّقًا شديدًا.

٢- التعلُّق المعنوي ليس على درجة واحدة ونسبة ثابتة، بل هو على درجات ومستويات؛ فإن كان التَّعلُّق والارتباط شديدًا فإنَّه لا يصحُّ الابتداء به، وإن كان غير ذلك فللقارئ الابتداء به.

٣- إنَّ الفيصل الأساس في صحة الابتداء هو الشُّروع بمعنًى مستقلٍّ وسياق جديد، وموضوع منفصل عمَّا قبله، وهذا يتطلّب من القارئ المعرفة بسياقات الكلام، من جهة الابتداء والانتهاء.

٤- على القارئ أن يتجنَّب الابتداء ببدايات الأجزاء والأحزاب والأرباع التي تتعلَّق بما قبلها تعلُّقًا شديدًا، وأن لا يتقيَّد بالعلامات الموجودة في المصاحف.

٥-لا يجب على القارئ أن يجعل من الآيات القرآنية التي فيها سجود تلاوة مدعاة لتركها والابتداء بما بعدها، فيؤدِّي ذلك إلى وقوع القارئ بالابتداء المحظور.

٦- إنَّ مراعاة المعنى والسِّياق والالتزام بضوابط الابتداء الصَّحيحة، وتجنّب الابتداء غير الصحيح ، كلُّ ذلك واجب التطبيق على القارئ؛ سواءٌ كان يقرأ وحده، أم كان يقرأ في حلقة، أم كان يقرأ في محفل ...، وعلى المشايخ المقرئين أن يُلزموا طلابهم بهذا المنهج، لتكون تلاواتهم صحيحة، وقراءاتهم منضبطة.

(١) السورة نفسها: الآية:٢٩.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

•أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد البيضاوي) (ت٦٨٥هـ)، تح: محمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١- ١٤١٨هـ.

•البحر المحيط البحر المحيط في التفسير(أبو حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي)(ت ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمَّد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

•التبيان في إعراب القرآن(أبو البقاءعبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري)(ت : ٦١٦هـ)، تح:علي محمَّد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

•التفسير الكبير(أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي)(ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ ، ١٤٢٠هـ.

•الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (محمود صافي)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٣ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.

•جهد المقل(محمَّد بن أبي بكر المرعشي)(ت١١٥٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. سالم

قدوري الحمد، ط١، دار عمار، عمّان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

•حقّ التِّلاوة(حسني شيخ عثمان)،ط٩، مكتبة المنار، الأردن– الزرقاء،١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

•الحواشي المفهمة في شرح المقدمة الجزرية(أحمد بن محمَّد بن الجزري) (ت٨٢٩هـ)، تح: مجموعة من المحققين، ط١، مطبعة الطيف، بغداد، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٧م.

•سنن الترمذي(أحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي)(ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض، (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

•شرح متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية(محمَّد بن محمَّد ابن الجزري)(ت٨٣٣هـ)، طبعة: محمد صبيح علي وأولاده–القاهرة.

•فنّ التَّرتيل وعلومه(أحمد بن أحمد الطَّويل)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

•الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل(أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري)(ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٧ هـ.

•العميد في علم التجويد (محمود بن علي بسّة المصري)(ت بعد ١٣٦٧هـ)، تح: محمَّد الصادق قمحاوى ، دار العقيدة – الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

•اللباب في علوم الكتاب(أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي)(ت ٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

•مصابيح الدرر مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور(عادل بن محمد أبو العلاء)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد١٢٩ – السنة ٣٧ – ١٤٢٥هـ.

•مقاييس اللغة (أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين) (ت ٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

•المكتفى في الوقف والابتدا(عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الدَّاني) (ت ٤٤٤هـ)، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط٢، ١١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

•معاني القرآن (أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط)(ت ٢١٥هـ)، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ط١، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م.

•معاني القرآن (أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء) (ت٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة –مصر، ط١.

•معاني القرآن وإعرابه (إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج)(ت ٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

- منار الهدى في الوقف والابتدا(أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري)(ت نحو ١١٠٠هـ)، تح: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث – القاهرة، ٢٠٠٨.
- النكت والعيون(أبو الحسن علي بن محمّد بن محمَّد بن حبيب الماوردي)(ت ٤٥٠هـ)، تح:السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري(عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي)(ت : ١٤٠٩هـ)، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢.
- الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم(د.عبد الكريم إبراهيم عوض)، دار السلام- القاهرة.